ISSN: 1112-7872
E-ISSN: 2600-6162
مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ
مجلد: 13 عدد: 01 جوان 2018
ص.ص. 89- 116
الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد أركون

الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد أركون

حمادي هواري
قسم الفلسفة، جامعة معسكر.
houari.hammadi@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال:03/ 01/ 2018؛ تاريخ القبول: 04/ 03/ 2018

The Qur'anic Revelation between Malik bin Nabi and Muhammad Arkoun

Abstract: Our article entitled «The Qur'anic Revelation between Malik bin Nabi and Muhammad Arkoun»,isa theme that belongs to contemporary Arab and Islamic thought in the twentieth century.It presents a philosophical approach among Algerian thinkers to raise the issue of Quranic revelation in terms of bases, criticism of its classical perceptions, and also the appropriate approach in reading Quran following to a group of steps, wiche are: 1 - Convergence in origin and common obsession: Here we will refer to the common obsession that establishes the problem of revelation from the viewpoint of the two philosophers, elaborated in accordance withtheirpath of life and philosophythat leaded themto deal with this problem. 2 - Convergence in the problems of Quranic revelation and renewal its concept: We raise the manifestations of convergence in the issue of revelation and renewal its concept regardingthe context of the Qur'anic phenomenon withina new and common approaches witch consider Quranan object of scientific studies as well as others human and social phenomena 3 - Convergence in the criticism vision and approach: We intend to criticize theantiquetools in understanding the revelationof Quran. We investigatedthe rhetoric of Orientalism and classical diligence in addition to contemporary science such as: psychology,

sociology, history and other sciences and proposals in order to understand the phenomenonofrevelation.

Key words : Revelation ; Quran ; Phenomenon ; Approach; Method.

الملخص: جاء مقالنا بعنوان: «الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد أركون» وهو موضوع ينتمي إلى الفكر العربي والإسلامي المعاصر في القرن العشرين، يطرح مقاربة فلسفية بين مفكرين جزائريين في طرح مسألة الوحي القرآني من حيث الأرضية أو المنطلق و من ناحية لإشكال والمفهوم، ومن حيث نقدهما للتصورات الكلاسيكية له، ومن حيث تصورهما للمنهج المناسب في قراءته، حسب مجموعة من المحطات وهي:

التقارب في المنشأ والهاجس المشترك: هنا سنشير إلى الهاجس المشترك الذي يؤسس لإشكالية الوحي في فكر الفيلسوفين والذي يتعلق بتكوينهما مسارهما الحياتي والفلسفي الذي أهلهما للاهتمام بهذه الإشكالية.

التقارب في أشكلة الوحي القرآني وتجديد مفهومه: نطرح فيه تجليات التقارب في مسألة الوحي وتجديد مفهومه في إطار الظاهرة القرآنية كمفهوم جديد ومشترك يتفق فيه المفكرين كمفهوم أنسب للقرآن الكريم يجعله قابلا للدراسة العلمية شأنه شأن الظواهر العلمية والإنسانية والاجتماعية على وجه الخصوص.

التقارب في الرؤية النقدية و المنهج:نبحث عن مدى التقارب في نقد الأدوات القديمة لفهم الوحي كما استعملها الخطابين الاستشراقي والاجتهاد الكلاسيكي إضافة إلى البديل المطروح المتمثل في ضرورة توظيف العلوم المعاصرة كعلم النفس وعلم الاجتماع والتاريخ وغير ذلك من العلوم والمناهج في فهم ظاهرة الوحي.

الكلمات المفتاحية: الوحي؛ القرآن؛ الظاهرة؛ المقاربة؛ المنهج.

مقدمة:

عرفت الفترة المتأخرة للفكر العربي المعاصر، اهتماما كبيرا بالوحي القرآني، إذ طرحت مسألة فهمه بقوة لدى كبار مفكري النهضة والحداثة، وتباينت رؤاهم في فهمه، وكثيرا ما بدت متعارضة وناقدة لبعضها البعض، كما يظهر عند طه عبد الرحمن والجابري، الطرابيشي والجابري، نصر حامد أبو زيد ومحمد عمارة، مالك بن نبي ومحمد أركون.

يثير طرح المفكرين الجزائريين مالك بن نبي ومحمد أركون مسألة – الوحي القرآني- تقاربا واختلافا في الوقت نفسه، فإذا عدنا لما يسميانه «الظاهرة القرآنية» ، وإذا رجعنا للظروف التي عاشا فيها الرجلين، إضافة إلى غايتهما الكبرى في البحث عن مناص إلى النهضة والحداثة نجدهما يتفقان في منطلقات ومفاهيم وغايات الاهتمام بالنص أو الوحي القرآني تحديدا، أما إذا عدنا إلى موقف 'أركون' من اهتمام المهندسين وعلى رأسهم 'ابن نبي' بالوحي القرآني ونعته بالسطحية كغيره أصحاب

النزعة العلمية الذين اقتحموا ميدان الدراسات البحث فيها، قد ندرك أن هناك اختلافا وتعارضا بين المفكرين .

نتوخى من خلال بحثنا معرفة القاسم المشترك بين المفكرين الجزائريين بن نبي وأركون ، ومعرفة مدى تقاربهما أو الهواجس والاهتمامات والتطلعات المشتركة بينهما، في مسألة واحدة أثارت انتباهنا ونحن نقرأ مختلف مؤلفاتهما، ألا وهي مسألة النظرة التي يقدمانها للوحي القرآني كأرضية ينطلقان منها في البحث عن سبل النهضة والحداثة، ونحن لا ننكر وجود اختلاف في نظرتهما لهذه المسألة في أبعادها المختلفة، لكن هذا لا ينفى مدى التقارب بينهما في النظر إليه :وطرحه، بل حتى في الأهداف التي يطمحان إلى تحقيقها في الاشتغال عليه، هذه النقاط هي ما أردنا أن نكتشفها من خلال معالجة الإشكالية التالية: ما مجالات التقارب بين ابن نبي وأركون في طرحهما لظاهرة الوحي القرآني ولاسيما إذا كان نعرف أن الثاني ينتقد دراسة الأول في هذا الميدان وينعتها بالسطحية؟

النص:

من أجل تحليل هذه الإشكالية، نسعى إلى المقاربة بين المفكرين في مجال طرحهما للظاهرة القرآنية حسب المحطات التالية:

التقارب في المنشأ والهاجس المشترك: هنا سنشير إلى الهاجس المشترك الذي يؤسس لإشكالية الوحي في فكر الفيلسوفين.

التقارب في أشكلة الوحي القرآني وتجديد مفهومه: نطرح فيه تجليات التقارب في مسألة الوحي وتجديد مفهومه في إطار الظاهرة القرآنية.

التقارب في الرؤية النقدية والمنهج: نبحث عن مدى التقارب في نقد الأدوات القديمة لفهم الوحي والبديل المطروح.

ـ التقارب في المنشأ والهاجس المشترك:

تمثل إشكالية الوحي القرآني عند مالك بن نبي (1905-1973)م و أركون (1928- 2010) م، هاجسا أو هما مشتركا حمله المفكرين، اشتغلا عليه واهتما به، وذلك لعوامل مختلفة تنطلق في البداية من التشابه في سيرتهما ومسيرتهما التي أدت إلى اهتمامهما بالوحي القرآني وهي:

ـ كلا المفكرين وجدا في عصر واحد، في القرن العشرين، ولدا وترعرعا في بلاد واحدة وهي الجزائر كدولة عربية وإسلامية، كما تشكلت ثقافاتهما الأولية في بيئة عربية إسلامية تهتم بالتتلمذ على الشيوخ ورجال الدين والتكوين بالمساجد والاهتمام بالتراث وحفظ القرآن الكريم وفهمه وهو ما يؤهلهما للاهتمام به فيما بعد.

ـ كلا المفكرين نهلا من منابع الثقافة الغربية حين هاجرا إلى فرنسا وأكمل تكوينهما فيها، فمالك بن نبي تكون بمدرستين متباينتين الأولى خاصة بتكوين القرآن، والثانية هي المدرسة الفرنسية، وهكذا أتيح له «أن ينهل من ثقافتين ونوعين من المعلمين، المعلمين المثقفين ثقافة عربية

إسلامية، والمعلمين المثقفين ثقافة فرنسية غربية»(يوسف حسين، 2004: 37)، والشيء نفسه بالنسبة لأركون تشبع في البداية من المدارس العربية الجزائرية ثم انتقل إلى فرنسا وتشبع بالثقافة الغربية دارسا ومدرسا، وهذا ما يجعلهما يتأثران بالغرب من حيث التطور الحاصل فيه ولاسيما من حيث مناهجه وأفكاره في فهم مسألة الوحي القرآني.

ـ كلا المفكرين ألفا مختلف كتبهما بما فيها تلك التي طرحت مسألة الوحي القرآني باللغة الفرنسية وترجمت فيما بعد إلى العربية من أوصياء محددين،فمالك بن نبي ألف في الإسلاميات بالدرجة الأولى و»كتب غالب إنتاجه باللغة الفرنسية وترجمت كتبه إلى العربية»(السيد ولد أباه، 2013: 150) والشيء نفسه بالنسبة لأركون «له إنتاج غزير في الإسلاميات وله كتب باللغة الفرنسية ترجم الكثير منها 'هاشم صالح' – خاصة- إلى العربية، هذا التأليف بلغة الآخر يعكس تأثرهما بثقافته من جهة ورغبتهما في تبليغ تراثنا له من جهة أخرى، يظهر في كتبهما التي على الرغم من تأليف الكثير منها في الخارج إلا أنها اهتمت بقضايا العرب والمسلمين كالقرآن والحداثة والإنسان والثقافة والفكر الإسلامي ككل وهذا العامل الخارجي في التكوين هو ما يجعل بن نبي وأركون يفكران في تأسيس مفهوم جديد للوحي القرآني ينهل من مشارب مغربية ويفهم في إطار آليات وأدوات تشربا منها في بلاد الخارج، إذن أرضية البحث في الوحي عند المفكرين تتقارب إن لم نقل إنها واحدة.

ـ كلا المفكرين أثرت عليهما تصورات التيار الاستشراقي واهتمامه بالمسائل المتعلقة بالتراث الإسلامي، ولاسيما مسألة الوحي

القرآني، حيث أدركا ضرورة مساءلته لعدة دوافع أهمها ذلك الذي يتعلق بأثر الأفكار الاستشراقية عليهما وعلى المجتمع الإسلامي التي دفعتهما إلى التعبير عن هم واحد انتابهما وانتاب مختلف المفكرين الجزائريين والمسلمين في الفترة المعاصرة وهو: ما طبيعة النظرة الاستشراقية لظاهرة الوحي؟ وما أثرها على فهمه؟ وما مدى موضوعيتها؟ وما أبعادها؟ فيما يكمن قصورها المنهجي والعلمي؟

ـ كلا المفكرين أرقهما هاجس الفهم العلمي لقضايا الغيب والوحي بعد التطور العلمي والتقني الحاصل في العالم في القرن العشرين، الذي ترتب عنه تراجعا ملحوظا في الإيمان بالأفكار الغيبية، لحساب تبلور نزعة موضوعية تستجيب للتطور الحاصل في العلوم الرياضية والطبيعية والإنسانية، الذي انعكس على قضايا الإنسان والدين وجعل الكثير من المسائل الميتافيزيقية محل شك وتساؤل لعل أهمها مسألة الوحي الذي كان هاجسا مشتركا بين 'بن نبي' و'أركون'، حاولا فهمه خارج أسوار التعصب والدوغمائية بالعودة إلى الدراسات الاستشراقية أحيانا، وفي ظل الأديان الأخرى كاليهودية والمسيحية أحيانا أخرى، وفي إطار المناهج العلمية الجديدة، وبمراعاة التغيرات الطارئة في المجتمع.

ـ كلا المفكرين تأثر بالواقع الجزائري والعربي والإسلامي في فترة الاستعمار وما بعده وما شهده من تخلف فكري وثقافي في شخصية الرجلين، والذي دفعهما إلى الرغبة في تغييره بالعودة إلى جذوره العميقة ومحاولة اكتشافه في التراث الديني، وفي العودة إلى ظاهرة الوحي القرآني على وجه التحديد، من خلال طرحهما لسؤال جوهري وهو: إذا كانت

النظرة التراثية للوحي تهيمن على عقول المسلمين اليوم فما مدى فعاليتها في فهمه في ظل المستجدات والمتغيرات الطارئة في القرن العشرين؟

من خلال النقاط السالف طرحها، ندرك أن التقارب بين فكر 'بن نبي' و'أركون' يبدأ من اشتراكهما في المنبت والأصل، ومن ترعرعهما في ظروف تتشابه في شتى الميادين، سياسية كانت الجزائر من خلالها خاضعة للحكم الاستعماري إبان في فترة الثورة وما قبلها ثم نظام الدولة الجمهورية بعد الاستقلال، اقتصادية تميزت بسيطرة الاستعمار في البداية على خيرات بلادنا ثم تبني النظام الاشتراكي بعد التحرر، اجتماعية مشتركة تقوم على انتشار الفقر والحرمان وسيطرة الأمية والعادات والتقاليد إبان الاستعمار والعمل على مواجهتها فيما بعده، ثقافية تتميز بتشبع طبقة النخبة بالثقافة الفرنسية حسب تلقيها تكوينا في المدارس الفرنسية إبان الفترة استعمارية في مقابل تشبع مجموعة أخرى بالثقافة الدينية على وجه الخصوص، إضافة إلى هذه المعطيات التي شكلت شخصية الرجلين، تجدر الإشارة إلى ازدهار حركة الاستشراق وتغلغل أفكارها في أذهان النخبة العربية وتأثيرها على تصورات المفكرين في شتى المسائل إضافة إلى التطور العلمي ولاسيما في العلوم الإنسانية والاجتماعية، كان لهما النصيب الوافر في بناء فلسفتهما في طرح وفهم قضايا فلسفية متعددة ومنها على وجه الخصوص مسألة الوحي القرآني كهاجس مركزي يستثمر فهمه كطريق للتغيير والنهضة والحداثة وتجاوز مرحلة الاستعمار وما بعده –بقاياه– كهدف أسمى للفيلسوفين.

2-التقارب في أشكلة الوحي القرآني وتجديد مفهومه:

تبعا للمنطلقات السالف ذكرها، والتي أسست للبحث في مسألة الوحي القرآني عند ابن نبي وأركون، ندرك تقاربا في الإشكال والمنهج عند 'بن نبي وأركون ' في مجال مساءلتهما و تصورهما للوحي القرآني:

التساؤل والإشكال يمكن في : كيف يمكن تأسيس فهم علمي وموضوعي لظاهرة الوحي بغض رغم طابعها الغيبي و الميتافيزيقي والديني الذي قد يتنافي مع العلم؟ و كيف يمكن استثمار هذا الفهم أن في إخراج مجتمعاتنا الإسلامية من براثن التخلف والجمود إلى مصاف النهضة والحداثة ؟

عند نفصل طبيعة الإشكال السابق، ندرك أن 'مالك بن نبي' يعتبر من العرب الأوائل الذين سعوا إلى أشكلة الوحي وفق تصورات جديدة بعيدا عن الإيمان الساذج، لعل أهمها تلك التي ترتبط بالرد على المستشرقين، ومنها ما أورده بصدد تحليله لظاهرة عزلة النبي مدة خمسة عشرة عاما من خلال قوله متسائلا عن فعل النبي في هذه الفترة: « هل كان يغرق في تأمل عميق في المشكلة الدينية يقوده إلى نوع من إلهام الدعوة المستقبلة؟» (بن نبي مالك، 1981 :116) هنا يساءل نظرة المستشرقين للوحي إن كان تأملا ذاتيا لنبي ينتهي بإلهام خاص يوحي إليه بالمعرفة، ومنها عن طبيعة الوحي وفق التصور التالي: إذا كان الوحي ليس مكاشفة ولا إلهاما كما يقول المستشرقون فما عساه أن يكون؟ ويضيف كذلك إشكاليات أخرى تتعلق بجدوى المنهج الكلاسيكي في

قراءة النص القرآني والذي يمكن أن نبلوره فيما يلي: ما فعالية منهج التفسير القديم في تقديم فهم جديد للقرآن من شأنه مواكبة مستجدات العصر؟ والذي يترتب عنه سؤال جزئي آخر وهو: ما جدوى القول بالإعجاز اللغوي اليوم؟ لعل هذه بعض الإشكاليات التي أرقت عقل ابن نبي فإلي أي مدى تتقارب مع هموم محمد أركون؟

عند محمد أركون اهتم بمسائلة الوحي أو ما يسميه بأشكلة مفهوم الوحي برؤية لا تختلف عن بن نبي، وعلى الرغم من نعته لتصوراته للظاهرة القرآنية بالسطحية في قوله « كان المهندس الجزائري مالك بن نبي قد فرض نفسه في النصف الأول من القرن العشرين بصفته مفكرا مسلما كبيرا عن طريق إصداره لكتاب سطحي جدا يدعى الظاهرة القرآنية. وهو كتاب لا يزال يقرأ ويعلق عليه حتى الآن»(أركون محمد، 2001: 14)، يتبلور إشكالا مشتركا بين ابن نبي وأركون وهو: كيف يمكن تجديد مفهوم الوحي القرآني وفق متغيرات الواقع ومستجدات الفكر والواقع؟ وقد يكشف لنا هذا الإشكال أن الرؤية النقدية التي قدمها أركون لكتاب الظاهرة القرآنية، لا تعكس التباين بين المفكرين، بل تؤكد اشتراكهما في الهاجس وهو الطرح الجديد للوحي، ولم يكن الاختلاف إلا في الانتقال من السطحية إلى العمق في فهمه، لأن ابن نبي اكتفى بمفاهيم وآليات محدودة وأسلوب بسيط محافظا على إيمانه المطلق به، بينما أركون تعمق في غور تاريخه وتعددت مفاهيمه وآلياته في فهمه وفق منهج التشكيك والتساؤل والنقد دون أي قيود متحررا من سياج الإيمان الموروث، حيث يرى أنه أول من أشكل مسألة الوحي القرآني

بعيدا عن قضية الإيمان المطلق بصحته، وذلك بناء على تصريحه بأن « الوحي لم يتعرض للمساءلة، ولم يصبح إشكاليا، وإنما تم تثبيته مرة أخرى بالنسبة للمسلمين الذين قد يتعرض، إيمانهم للاهتزاز أو الزعزعة تحت تأثير الفكر العلمي الحديث» (أركون محمد،2001: 15) نفهم من هذا القول أن أركون يبين أنه أول من أشكل الوحي ليس لغرض إيماني كما كان عند ابن نبي وإنما لغرض علمي بحت، وهنا نتساءل: هل صحيح الدافع إلى ذلك كان علميا بحتا؟ نحن هنا لا نطعن في نية المفكر لكن نريد أن نقول أنه من المستحيل أن يتخلص هذا المفكر ذاته من غرض عقيدي خالص بصدد مساءلته للوحي القرآني وهو بلوغ الإيمان الصحيح، وإلا ما الدافع الذي جعله يبحث في مسائل الخطاب القرآني ويجعلها من أولويات اهتمامه الفكري؟

لذلك فهو بدوره مثل ابن نبي ينطلق من العقيدة الإسلامية بل ومن الإيمان بالإسلام في ممارسة التفلسف، ودليل ذلك أنه لم يصرح بخروجه عن الإسلام، أو بتبنى دين آخر، وحتى تشكيكه بخصوص المصحف لم يكن متعلقا بالرسالة المحمدية بل مرتبط بالمصحف المدون من السلطات الرسمية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو لا ينتهي إلى الفصل المطلق بين القرآن والمصحف كما يعتقد البعض، استنادا إلى أنه « عد الأول خطابا شفهيا غاب واندثر مباشرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وعد الثاني نصا مكتوبا منقطعا عن الأول شكلا ومضمونا»(العاقبي حسن.2009: 72) بل يؤكد أن هناك بعض الحقائق المطموسة واللامفكر فيها يمكن إعادة استكشافها بقراءة جادة

وعميقة لتاريخ المسلمين، ويمكن أن نضيف أن أركون ينطلق من السور القرآنية في بناء مشروعه، وليس من معطيات أخرى كما هو الحال في دراسة سورتي الفاتحة والكهف وفق مناهجه الجديدة.

النقطة الأخرى والأساسية التي يتقارب فيها 'بن نبي' مع 'أركون' هي تجديد مفهوم الوحي القرآني في إطار ما يسمى «الظاهرة القرآنية التي تضع الدين في سجل الأحداث الكونية بجانب القوانين الطبيعية» (بن نبي مالك، 1986: 70) ، «فانطلاقا من تكوينه العلمي بصفته مهندسا،بحث في الوحي القرآني كظاهرة تخضع لقوانين ثابتة شأنها شأن الظواهر الطبيعية،» (حمادي هواري، 2013: 53) بمعنى أن الوحي مثل الظواهر الفزيائية ليس غامضا أو مبهما كما هو معروف بل يمكن أن نلاحظه ونقرأه في إطار مبادئ العلية والحتمية يتكرر عبر تاريخ الإنسانية كما تجسد في الرسالات السابقة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فالوحي في نظر بن نبي حدث كوني تاريخي يقبل الدراسة العلمية في إطار العلوم الطبيعية من جهة وفي إطار علوم الإنسانية والاجتماعية من جهة خرى وعلى رأسها التاريخ وعلم النفس ، وأركون «ألح بدوره على ضرورة الانطلاق من مفهوم الظاهرة القرآنية واستعمالها مصطلحا بديلا للقول بالقرآن الكريم، كشرط أولي لمواكبة المستجدات العلمية والمنهجية الحاصلة في عصرنا واستخدامها في قراءة نصوص القرآن الكريم وإخضاعها للدراسة العلمية الوضعية بغض النظر عن مصدرها الإلهي وبعيدا عن اعتبارها متعالية ومفارقة للواقع» (حمادي هواري، 2013: 75) يقول أركون في هذا الصدد:»ما الذي أقصده بالظاهرة

القرآنية؟ أقصد القرآن كحدث يحصل لأول مرة في التاريخ، وبشكل أدق أقصد ما يلي: التجلي التاريخي لخطاب شفهي في زمان ومكان محددين تماما،(الزمان هو بدايات التبشير، والبيئة الاجتماعية والثقافية التي ظهر فيها هي الجزيرة العربية). ألح هنا على الطابع الشفهي للقرآن في البداية، لأنه لم يكتب أو لم يدون إلا فيما بعد»(أركون محمد، 2004: 186) هنا يتفق مع بن نبي في اعتبار ظاهرة الوحي القرآني حدثا تاريخيا كونيا يفهم بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ويقبل التحليل العلمي بل والنقدي بمختلف الآليات والأدوات المعاصرة.

انطلاقا مما سبق لا يمكن إنكار دور جملة العوامل المحددة لتكوين الفيلسوفين بن نبي وأركون في إرساء الكثير من نقاط التقارب والتي تتمحور أساسا في وصف الوحي بالظاهرة وأشكلة فهمه وفق مستجدات العلوم والوقائع، وهذه المهمة تبدأ من نقد الرؤى السائدة حوله وإرساء دعائم آراء جديدة تبدأ من النقد وتمر بالدراسة والتمحيص وتتطلع إلى العلمية والموضوعية في فهم ظاهرة من قبيل الغيب وهي الوحي القرآني.

3-التقارب في الرؤية النقدية والمنهج:

إن الاشتراك في جملة الإشكاليات المتعلقة بالوحي التي حددناها سابقا عند بن نبي وأركون، تقود إلى اتفاقهما في الرؤية النقدية للتصورات الاستشراقية والكلاسيكية التي وجدت في ميدان دراسته، حيث ينطلقان من النقد اللاذع للرؤية الاستشراقية للوحي ويطعنان في

شعارها الذي يدعي الحياد والموضوعية، ويبينان قصورها من حيث المضمون والمنهج، ويميطان اللثام عن أغراضها السياسية والإيديولوجية، كما يعتمدان على نقد الرؤية التي ظلت وفية للرؤى والمناهج الكلاسيكية وتهمل المستجدات والتغيرات الطارئة في عصرنا، ويصلان في الأخير إلى الدعوة الملحة إلى استثمار المناهج الجديدة في بناء فهم للوحي يناسب التطلعات والهموم المعاصرة للإنسان اليوم.

فعندما نرجع إلى تصور كل من ابن نبي وأركون للوحي، بالرجوع إلى مؤلفاتهما وآرائهما، تثير انتباهنا مسألة جوهرية تعبر عن صلب الفكر الإسلامي المعاصر لديهما ألا وهي إشكالية التعامل مع ظاهرة الوحي بنقد الإيديولوجي والدعوة إلى ما هو ابستيمولوجي من أجل بناء فهم محدد لها يواكب التحديات الجديدة على المستوى الواقعي والعلمي، وبالتالي هذا الفهم سنحاول مقاربته حسب ثلاث عناصر رئيسية تعبر عن أوجه الاشتراك بينهما في طرح قضية الوحي وهي:

أولا: نقد التصورات الاسشراقية للوحي بين ابن نبي وأركون:

انتقاد مالك بن نبي لتصورات المستشرقين حول الوحي يدخل في إطار عرضه موقفه العام من أفكارهم ومنتجتاهم التي يشيد بها أحيانا في قوله « إنه إنتاج لا يجوز نكران قيمته العلمية» (بن نبي مالك، 1991: 193) وهنا يشيد بطابعها العلمي ولكن يذمها في غالب الأحيان ولاسيما من حيث أغراضها الإيديولوجية المبطنة التي تحط من قيمة هذه الأفكار والتي تجعل «ما سما منها و ما كان تافها مسخرة لتكون وسائل

افتضاض الضمائر والعقول»(بن نبي مالك، 1991: 194)، ويكون موقف ابن نبي في هذا الإطار موقف ناقد لتصورات المستشرقين من الوحي، حيث يبين أن طابعها العلمي جعلها تؤثر على عقول المسلمين في فهم ظاهرة الوحي كما يظهر عند طه حسين في كتابه المشهور 'في الشعر الجاهلي' حين قارنه بالقرآن، وهو ما يستمد أصوله من فرضيات المستشرقين التي استلهمها من أفكار 'مرجليوث' التي نشرت في يوليو عام 1925، كما ينتقد مالك ابن نبي آراء المستشرقين التي تعتبر الوحي مكاشفة أو إلهاما من إبداع الذات المحمدية، ويرى أن التعريف المناسب له هو أنه يمثل «المعرفة التلقائية والمطلقة لموضوع لا يشغل التفكير» (بن نبي مالك، 1981: 140) بهذا التصور يسعى ابن نبي إلى التمييز بينه وبين المكاشفة التي رأى أنها معرفة مباشرة لموضوع تم التفكير فيه من قبل ويقبل التفكير على عكس الوحي الذي يمثل معرفة جديدة لم يتم التفكير فيها من قبل أو بلغة أخرى هو ظاهرة لا تقبل أي تفكير فيها قبل النزول، ولا يمكن تصورها بأي شكل من الأشكال، كما أن المكاشفة لا يمكن أن تصطحبها تلك الاضطرابات النفسية والجسمية كما هو الحال في الوحي الذي يؤدي إلى يقين مطلق ومعرفة كاملة جديدة يعجز البشر عن التفكير فيها أو تصورها، كما يستند ابن نبي في تحديد تصوره للوحي على ما ورد في الآية 44-من سورة آل عمران في قوله تعالى «وذلك من أنباء الغيب نوحية إليك، وما كنت تدري إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون» من خلال هذه الآية يبين فيلسوفنا أن الوحي هو كشف المغيب مغيب محدد عاما

يضم التفاصيل المادية لمشهد روحي خالص، ويضم أيضا واقعا معينا هو»إلقاء الأقلام « وهي ما تبين أنه لا يمكن أن يكون أفكارا عادية بل هو من قبيل الغيب الذي لا يمكن أن يعرفه البشر.

وعندما نعود إلا أركون نجده مثل بن نبي ينطلق من انتقاد تصورات المستشرقين حول الوحي بعد الإشادة بقيمتها العلمية، إذ يرى أن المنهج التنقيبي الاستشراقي رغم ما يبدو من طابع الدراسة العلمية الموضوعية الحيادية لم يستطيع تجاوز إيديولوجيا العصر الكلاسيكي لأنه ظل وفيا للاهوت والميتافيزيقا الكلاسيكية والمنهجية الفللوجية والتاريخية (أركون محمد، 1996: 13)، فأركون بدوره لا ينفي قيام دراسة علمية للوحي في الاستشراق تدخل في موقفه العام من الرؤية الاسشتراقية للتراث الإسلامي التي يرى من خلالها أن الخطاب الاستشراقي بصدد دراسة مرحلة تأسيس الخطاب القرآني أو فترة الوحي كان يطمح إلى الدراسة العلمية له في مجال الاستعانة بمنهج علمي وهو النقد الفللوجي والتاريخي ولكنه لم يوف بهدفه حين ظلت «تغلب عليه النزعة التاريخوية والوضعية الخاصة بالقرن التاسع عشر»(أركون محمد، 1996: 18)، إضافة إلى ذلك ما أوحي إلينا بتقارب رؤية أركون مع ابن نبي وما استوقفنا هنا هو إتباعه للفكرة نفسها لابن نبي في مجال نقد أتباع المستشرقين الذين درسوا الوحي، والذي هو على وجه التحديد طه حسين في قوله: «نلاحظ أن الكتاب المحدثين بما فيهم المسلمون من أمثال طه حسين الذين اهتموا أكثر من غيرهم بالاستعادة النقدية للتراث الديني أو الثقافي أو كليهما لم يعرفوا كيف يزحزحون المناقشة من

أرضيتها السابقة نحو دراسة تمهيدية للأطر الاجتماعية- الثقافية السائدة والخاصة بالمعرفة خلال القرنين الأول والثاني للهجرة(أركون محمد، 1996: 36)، وبالتالي فأركون رغم تركيزه على قصور المنهج الاستشراقي بالمقارنة مع تركيز ابن نبي على غرضه الإيديولوجي في فهم الوحي، فإن كلاهما يؤسسان أفكارهما حول الوحي انطلاقا من نقد تصورات المستشرقين وأتباعهم حوله.

ثانيا: نقد المناهج الكلاسيكية في قراءته:

عندما نعود إلى الشق الثاني من النظرة النقدية التي يقدمها المفكرين بن نبي و أركون نجد أنهما يشتركان في نقد التصورات التي لا تزال تكرس أراء الأسلاف وأنصار الاجتهاد التقليدي في مجال فهم الوحي القرآني وبالخصوص على مستوى المنهج الذي يفتقر إلى الآليات الابستيمولوجية الجديدة في فهم الظواهر الدينية، والتي تجعل فهمهم للوحي بعيدا عن المستجدات على مستوى الفكر والواقع على حد سواء، وفي هذا الصدد أردنا الاعتماد على مسألة واحدة أثارت اهتمامنا سنكتفي بها في مجال المقاربة بين المفكرين في تصورهما النقدي للمنهج الكلاسيكي في فهم الوحي القرآني، وذلك لأنها تعتبر من أخطر الأمور اليوم نظرا لهيمنتها على أفكار المسلمين في فهمه وانعكاساتها السلبية على استثماره في معالجة مختلف قضايا واقعهم اليوم، وهي تلك النظرة التي لا تزال تغلق فهم ظاهرة الوحي في ظل أسلوبه اللغوي وإعجازه البلاغي وتتنكر لمستجدات الواقع والفكر التي تفرض تغيير هذه النظرة التي لم تفرق بين إنسان قريش الذي كان يتذوق اللغة ويتأثر بألوان البيان

والبديع لدرجة تجعله يسلم لسماع آية أو سورة محددة، استجابة لرونقها وجمالها الوارد في تعابيرها وأساليبها، وإنسان اليوم الذي لم يعد يتذوق التنميق اللغوي الوارد في الوحي ويحتاج إلى الدراسة الفكرية والعلمية له بالدرجة الأولى، والتي تحتم الاستفادة من آليات الفهم الجديدة التي ظلت تفتقر إليها المناهج الكلاسيكية، وهو ما جعل اعتمادها على الدراسة الأسلوبية في مجال القرآن قاصرا ومحدودا، وهي التي تبلورت عند بن نبي في نقده لفعالية الإعجاز اللغوي اليوم، وحديثه عن هيمنة اللسان الدارج على الناس، الذي انتهى إلى نقده للمنهج الكلاسيكي الذي يتأسس عليه، وهو نفس الهاجس الذي انتاب أركون في نقده لذلك المنهج حين رأى أن السيطرة على النحو والبلاغة فقدت جدواها في فهم الوحي في ظل التطورات الجديدة.

فعندما نعود إلى مالك بن نبي نجد أنه ينتقد منهج التفسير القديم، و يرى أنه يعتمد على الدراسة اللغوية الأسلوبية للوحي القرآني التي كانت ولا تزال معتمَدة إلى يومنا كسمة جوهرية في التعامل مع النص القرآني رغم ابتعادها عن التجربة التاريخية للعالم الإسلامي وعدم مسايرتها للمستجدات الحاصلة، على المستوى الفكري والاجتماعي، حيث يرى ابن نبي أن هناك عدم تماشي للمنهج الكلاسيكي مع التطور الثقافي الحاصل عن تأثير الثقافة الغربية في المجتمعات الإسلامية التي مست الجانب الروحي في فهم الوحي القرآني، حيث يحلل مكونات الثقافة العربية الراهنة وأثرها على زحزحة مكانة وفعالية الدراسة الأسلوبية للوحي اليوم التي ما تزال الكثير من الخطابات القرآنية تعتمد

عليها اليوم مهملة علاقة اللغة بالفكر، حيث يدعو إلى تعديل ذلك المنهج في ضوء الثقافة الراهنة ومستجداتها والتي تكمن في الاستفادة من التطورات الفكرية في العلوم الإنسانية ومن جملة المناهج التي تراعي خصائص إنسان اليوم في فهم الغيب والوحي، حيث يحلل تكوين شخصية المسلم اليوم الذي يصنعه الفكر الديكارتي على مستوى النخبة، ويؤثر عليه اللسان الدارج على مستوى الجمهور، ومن دون شك هذا النوع من الإنسان لم تعد تجذبه الدراسة الأسلوبية للوحي في ظل المعطيات الثقافية الجديدة الوافدة الغرب التي انتهت إلى موت ما يمكن أن نسميه التذوق اللغوي للقرآن عند فئات كبيرة من الناس، في هذا المجال لجأ ابن نبي إلى نقد مفهوم الإعجاز القرآني في شكله الكلاسيكي وعلى وجه التحديد الإعجاز اللغوي الذي يعتبر معضلتنا في التعامل مع القرآن حين يتجافى عن مسايرة القرآن لمستجدات العصر على مستوى الواقع والفكر ويأسره داخل أسوار البيان والبديع، فعندما ينظر ابن نبي إلى فعالية الإعجاز اللغوي اليوم يبين أنه من أهم القضايا التي أفردت لها الكثير من الكتب في الثقافة الإسلامية وبينت أن إعجاز القرآن يرجع في لبه وجوهره إلى «النظم الذي يمثل الترتيب الذي كان لكلمات القرآن في جملها من جهة وفي الاختيار هذه الكلمات من جهة أخرى، ثم ترتيب الجمل والآيات في السورة»(فضل حسن عباس، 2007 : 57)، ويرتبط بمميزات الأسلوب القرآني كأسلوب متميز فريد يختلف عن غيره من الأساليب الموجودة في الشعر أو النثر العربي.

هذا التصور الذي كان ولا يزال سائدا حول الإعجاز القرآني حاول فيلسوفنا البحث عن فعاليته اليوم وأثره في العقل الحديث الذي يختلف في بيئته وتكوينه عن العقل الكلاسيكي المؤسس على الإعجاز اللغوي أو الأسلوبي، من خلال المقارنة بين القرآن والشعر الجاهلي التي لا تزال مستمرة إلى يومنا هذا عند الحديث عن القرآن، هذه المقارنة بين ابن نبي أنها غير مجدية اليوم، لأنه لا يوجد مسلم اليوم بإمكانه» أن يقارن موضوعيا بين آية قرآنية، وفقرة موزونة أو مقفاة من أدب العصر الجاهلي فمنذ وقت طويل لم نعد نملك في أذواقنا عبقرية اللغة العربية، ليمكننا أن نستنبط من المقارنة أدبية نتيجة عادلة حكيمة»(بن نبي مالك، 1981: 23) هنا يؤكد ابن نبي عدم جدوى ربط الإعجاز بالدراسة الأسلوبية اليوم.

عندما نعود إلى محمد أركون في هذه المسألة نجد أنه بدوره ينتقد الطريقة التي يتعامل بها الفكر الأصولي السلفي مع النصوص القرآنية وذلك حين يؤسس لفهمها وتفسيرها بالسيطرة على الدراسة الأسلوبية بالتمكن والتحكم في علوم اللغة المختلفة منها « علم النحو العربي وعلم المفردات والبلاغة وعلم المعنى أي مختلف علوم اللغة العربية» (أركون محمد، 1996: 24)، كما يرى أن النظرة الكلاسيكية للوحي تقع داخل السياج الدوغمائي حين يتجاهل المعطيات الخارجة عن ما هو مدون في المصحف الرسمي، فهو يتعمق في تحليل طبيعة المعرفة الكلاسيكية للوحي مقارنة مع ابن نبي رغم أنها يشترك معه في قصور الدراسة الأسلوبية للوحي والتي ظلت تعتبر معرفته «مجرد استنباط لغوي

من النصوص أو عمل معنوي سمانتي، وليس عبارة عن استكشاف جر للواقع يؤدي إلى تحديد المعنوي ولمفهومي في كل المجالات» (أركون، م. 1998: 09)، كما يرى أن الدراسة اللغوية للوحي تفتقر إلى المفاهيم وتتميز بالعقم حيث يؤكد وجود «انعدام الأرضية المفهومية والمعرفية الخاصة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية في اللغة العربية: أي لغة التلقي التي ينقل إليها فكر الحداثة، ناهيك عن جميع ما يخص بحوث ومناقشات 'ما وراء الحداثة'(أركون، م.2001: 09) وهنا يدعوا أركون بصورة غير مباشرة إلى الاستفادة من اللغات الأجنبية حسب ما توفره من ترسانة المفاهيم التي يدعوا إلى التسلح بها في فهم القرآن، والتي في نظره تفتقر إليها اللغة العربية، فهو مثل ابن نبي يرى أن الدراسة الأسلوبية التي تتأسس على اللغة العربية لم تعد ذات فعالية اليوم في فهم ظاهرة الوحي ولابد من الاعتماد على مناهج أخرى فما طبيعة هذه المناهج يا ترى؟

ثالثا: الدعوة إلى استثمار الآليات الجديدة في فهم القرآن الكريم

بعد نقد المفكرين بن نبي وأركون للمنهج الكلاسيكي، يسعيان إلى تقديم البديل، فهما يتفقان في ضرورة تعديل المنهج في ضوء المستجدات الفكرية والمتغيرات الواقعية في القرن العشرين، والاختلاف بينهما كان فقط في السطحية والعمق، فتعديل منهج فهم الوحي في ضوء التجربة التاريخية نقطة مشتركة بينهما، حيث يقول ابن نبي : « ينبغي أن يعدل منهج التفسير في ضوء التجربة التاريخية التي مر بها العالم الإسلامي» (بن نبي مالك، 1981: 59) ويقول أركون بصدد حديثه عن الفهم الحقيقي للقرآن أنه ينطلق من تفادي « الخلط بين الإسلام كدين،

والإسلام كإطار تاريخي لبلورة ثقافة وحضارة معينة» (أركون محمد، 1998: 43)، أي أننا بصدد حديثنا عن الفهم المناسب للوحي القرآني علينا أن نعود إلى المجتمعات ونفحصها، ندرس تاريخها وثقافتها، وينتهي مالك بن نبي إلى الموقف نفسه عندما يقر بأولوية التجربة التاريخية في فهم الوحي، فكلاهما يتفقان في وجود تطورات اجتماعية وثقافية لابد من مراعاتها بصدد حديثنا عن الخطاب القرآني، وهي ما تفرض الاستفادة من العلوم الإنسانية والاجتماعية ومناهجها كالتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وتاريخ الأديان والمقارنة بين الأديان ومنهج التحليل النفسي ... غيرها من آليات الفهم الجديدة المطبقة في دراسة الظواهر والنصوص.

فعندما نعود إلى مالك بن نبي نجد أنه يلح على الدراسة الشاملة والعلمية للوحي كخطوة أولى لفهمه وتبليغه، الشاملة في إطار الديانات السماوية الأخرى حيث يوظف أفكار اليهود والمسيح والكتب المقدسة بصدد حديثه عن الوحي القرآني العلمية باعتماد معطيات علمية تحلله وتفهم حقيقته، حيث سعى إلى إيجاد أساس عقلي له انطلاقا من التحرر من النظرة التقديسية والتبجيلية في تصوره للوحي، كما استبعد عواطفه وانتمائه للثقافة الإسلامية، وأعطى لتصوره طابعا علميا لاسيما في التمييز بينه وبين الظواهر التي يمكن أن يختلط بها كالعرفان والمكاشفة عن طريق العودة إلى منهج التحليل النفسي الذي يلح على استخدامه في فهم ظاهرة الوحي، حيث يؤكد على ضرورة « الاهتمام بمنهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية»(بن نبي مالك، 1981: 53)، يؤكد على دور

التاريخ والتغيرات الحاصلة في المجتمع في فهم ظاهرة الإعجاز، فبانتقاده لهيمنة لإعجاز اللغوي في فهم الوحي القرآني كما أشرنا سالفا يدعونا إلى إعادة النظر فيه « في نطاق الظروف الجديدة التي يمر بها المسلم اليوم، مع الضرورة التي يواجهها في مجال العقيدة والروح»(بن نبي مالك، 1981: 63) حيث يدعوا المسلم إلى فهم الآية وتناولها من خلال «حيث تركيبها النفسي الموضوعي أكثر مما يتناولها من حيث العبارة، فيطبق في دراسة مضمونها طرقا للتحليل الباطن» (بن نبي مالك، 1981: 67)، فالفهم الحقيقي للوحي والذي يكون مناسبا للعصر ومواكبا لتطلعات إنسان اليوم هو الذي يراعي الهوة السحيقة التي تفصل بين «الذي ورثه وورث مبرراته التقليدية وواقعه الثقافي اليوم» (بن نبي مالك، 2009:18) هو ذلك الذي يعتمد على العلوم والمناهج المعاصرة وأهمها التحليل النفسي الذي يوظفه في تحليل شخصية النبي أثناء نزول الوحي وتفنيد ارتباط الوحي بذاته، علم الاجتماع بصدد حديثه عن مرحلة طفولة النبي ومراهقته وزواجه وعزلته وخصائص قومه، التاريخ الذي يعتبر القرآن بموجبه وثيقة تاريخية تكشف حقائق مجسدة حول الوحي كتعبيره عن مرحلة وجود الرسول في الغار في الآية 40 من سورة التوبة، علم الآثار واللغات القديمة عندما يبحث على مكانة القرآن وسط الكتب المقدسة الأخرى ومثال ذلك في هذا المجال مقارنته لقصة يوسف بين القرآن والكتاب المقدس، النقد التاريخي والدراسة للوثائق القديمة وفحصها بصدد تحليله للوثائق المتعلقة بالعهد القديم والعهد الجديد ومدى تعرضها للتحريف بالمقارنة مع القرآن الذي يظل محفوظا، هذا

الحفظ لا يعتبره ابن نبي من باب التقية بل يدعوا إلى استخدام العلوم الإنسانية والاجتماعية لفك أسراره.

في نفس هذا الاتجاه يلح أركون على استخدام معطيات علمية، تحلل وتفهم حقيقة الوحي القرآني في ظل الاستفادة من التطور الحاصل في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية في الغرب، وتنطلق من التحرر من النظرة التقديسية والتبجيلية في دراسته التي يصرح بها ويهاجمها بشراسة مقارنة مع ابن نبي الذي لا يصرح بذلك ويكتفي بالتطبيق لمعطيات العلم ويمكن أن يكون اختلاف أركون عنه في التنظير والتأسيس للمناهج بصورة عميقة ومفصلة مقارنة مع ابن نبي الذي يكتفى بالاستعانة ببعض المناهج الجديدة دون أن ينظر لها بعمق، فرغم أن أركون لا يتحدث عن تجديد النظرة إلى الإعجاز، ويقصد النص القرآني الرسمي بالدرجة الأولى أكثر مما يقصد الوحي ككل كما ذهب ابن نبي، إلا أنه يشترك معه في ما سماه بضرورة الدراسة الشاملة والتاريخية والعلمية لمرحلة التأسيس وباستثمار العلوم والمناهج المعاصرة، إذ يؤكد أولوية الدراسة الشاملة للوحي القرآني في مختلف كتبه ويعتمد عليها أين يقارن بين الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ويدعوا على دراسة الظاهرة القرآنية في إطارها، حين يقول أنه « ينبغي أن نخرج الظاهرة القرآنية من عزلتها وندمجها داخل الدراسة المقارنة ليس فقط للأديان التوحيدية الثلاثة، وإنما داخل الأنثربولوجيا التاريخية للظاهرة الدينية» (أركون محمد، 1999: 73) هنا يلح فهم الوحي القرآني في سياق الديانات الأخرى، بل وفي أوضاع معتنقيها الاجتماعية وصفات

شعوبها، ويبين الشرخ القائم بين الخطابات الدينية كعائق للدراسة العلمية له، بما فيها الخطاب القرآني الذي يبين في مناسبات عدة سوء فهمه في عزلته، وهذا نفس ما نجده عند ابن نبي بصدد حديثه عن النبوة المحمدية في إطار الحركة النبوية الإسرائيلية عندما بين أنه في يفهم نبوة محمد في إطار تحليل «كلمة النبي في الآداب الدينية الإسرائيلية في القرن السابع والسادس قبل الميلاد» حيث يحلل ظاهرة أرمياء من الناحية الدينية والتاريخية والنفسية والاجتماعية لإثبات تهافتها وهو ما نفس ما يذهب إليه أركون، الذي على الرغم من أنه يدرس النبوة من موقع المحلل لا المدافع يدعوا إلى فهم الوحي القرآني داخل علاقاته مع تلك الديانات وفي إطار الوقائع التاريخية حيث يقول: « يلزمنا القيام ببحوث تاريخية طويلة وصعبة لكي نبين كيف أن الصيغة القرآنية لبنية الميثاق قد اتبعت أولا المصير التاريخي نفسه الذي اتبعته صيغة الميثاق في المجتمعات المسيحية»(أركون محمد، 1995: 85) قد ينطبق هذا المثال على المجال السياسي للدولتين المسيحية والإسلامية لكنه يعكس انطلاق أركون من الوقائع التاريخية والمقاربات بين الديانات في إطار فكرة المصير المشترك كأساس للتعامل مع القرآن عند المسلمين ، وفي إطار التاريخ المشترك دائما يكشف في إستراتيجيتين متغايرتين يجب تجاوزهما لصالح الحقيقة وفي إطار العلم، الأولى تتعلق بالمسلمين المتعصبين له، والثانية تتعلق بغير المسلمين المتنكرين له، إذ يدعوا إلى فهو يتعمق في تفكيك وتحليل الظاهرة الدينية مقارنة مع ابن نبي نتيجة لتعمقه في دراسة العلوم الإنسانية والاجتماعية، فهو بدوره يسعى إلى تأسيس مشروع جديد يمتاز

بالعمق والجدية مقارنة مع ابن نبي حين يدعوا ودون أي قيود الاستفادة من مختلف العلوم الإنسانية في قراءة الوحي القرآني التاريخ، علم النفس، علم الاجتماع، الأنثربولوجيا، علم اللاهوت المقارن،والمناهج الجديدة كالبنيويات واللسانيات والسيميائيات والتفكيكيات... وبالتالي فنظرة أركون أعمق وأوسع من نظرة ابن نبي بكثير في مجال الدعوة إلى استخدام آليات الفهم المعاصر للنص القرآني، ولكن هذا العمق لا يعنى الاختلاف في المنهج الجديد اللذان يدعوان إليه بصدد دراستهما للظاهرة القرآنية، بقدر ما يعني قيام أركون بتعميق هذا المنهج واستخدامه بكل معطياته للغوص في أعماق النص القرآني وتفادي أزمة المنهج الكلاسيكي في التعامل معه بالمقارنة مع ابن نبي الذي ظل سطحيا في معالجة إشكالية المنهج الجديد كبديل، وهذا ربما راجع إلى نقص التحكم في العلوم الإنسانية والاجتماعية كما يرى أركون باعتباره مهندسا كهربائيا.

الخاتمة: يمكن القول في الأخير، أنه على الرغم مما يبدوا من اختلاف بين بن نبي وأركون في طرحهما لفكرة الوحي القرآني، فإنهما يتقاربان في الإشكال من حيث هاجسهما في الدراسة العلمية للوحي وتجديد مفهومه في إطار الظاهرة القرآنية، وفي نقدهما للمنهج القديم في قراءته، وفي دعوتهما لأدوات جديدة في فهم ظاهرة الوحي، وقد يظهر وضوح وبساطة في أسلوب مالك بن نبي في مجال التعامل مع الموضوع المطروح اقتضتها تخصصه في الهندسة وعوامل أخرى، ويظهر تنظير وعمق عند أركون مستخدما ترسانة من المصطلحات والمناهج الجديدة

ترجع لتمرسه بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، لكن هذا الاختلاف لا يعني التباعد بينهما بقدر ما يعني الامتداد والتكامل في طرح مسألة الظاهرة القرآنية ينقلها من السطحية إلى العمق ومن التنظير إلى العمل، وهو ما يجعلنا نقول في الأخير أن غموض وتعقيد أسلوب أركون وتنظيره المفرط بصدد حديثه عن الوحي القرآني بحاجة إلى وضوح وبساطة أسلوب ابن نبي لكي يكون أكثر فعالية، وأسلوب ابن نبي بحاجة بدوره إلى مفاهيم وتنظيرات ومناهج أركون لكي يكون أكثر مصداقية وعمق، والاختلاف بينهما بصدد دراسة الوحي القرآني ليس اختلافا في الإشكال والمنهج ولكن اختلاف بين السطحية والعمق، والعمل والتنظير، ولا يكون الفهم الحقيقي والفعال للوحي القرآني إلا بفهم طبيعة الامتداد الحاصل بينهما في التعامل معه.

المراجع:

أركون محمد، (1995). أين هو الفكر الإسلامي المعاصر، ط2، بيروت: دار الساقي.

أركون محمد، (1995)، الإسلام أوروبا والغرب، رهانات المعنى وإرادات الهيمنة ، ط1 ، ،بيروت دار الساقي.

أركون محمد، (1996). تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ط2، بيروت: مركز الإنماء القومي والمركز الثقافي العربي.

أركون محمد، (1998). الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ط3، بيروت: دار الساقي.

أركون محمد، (2004) قضايا في نقد العقل الديني –كيف نفهم الإسلام اليوم– بيروت: دار الطليعة.

أركون محمد،(1999). الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، ط1، بيروت: دار الساقي.

أركون محمد،(2001). القرآن من التفسير الديني إلى تحليل الخطاب الموروث، ط1، بيروت: دار الطليعة.

بن نبي مالك، (1986). الظاهرة القرآنية ، د ط ، دمشق: دار الفكر.

بن نبي مالك، (2009). دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، ط5، دمشق: دار الفكر.

بن نبي مالك،(1991). القضايا الكبرى، ط9، دمشق: دار الفكر.

حسن عباس فضل،(2007). محاضرات في علوم القرآن، ، ط1 بيروت: دار النفائس.

حمادي هواري، (2013) النص القرآني وآليات الفهم المعاصر، رسالة دكتورة في الفلسفة، جامعة وهران، الجزائر.

السيد ولد أباه،(2013). أعلام الفكر العربي –مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، ط2، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.

للإحالة على هذا المقال:

ـ حمادي هواري ، (2018)، «الوحي القرآني بين مالك بن نبي ومحمد أركون»، **المواقف**، المجلد: 13، العدد: 01، جوان 2018، ص. ص. 89-116 .